الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي و التوظيف السياسي

د:.حامي حسان
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

الملخص:

تروم هذه الورقة إلى فهم كنه الأزمة الهوياتية في الجزائر،من خلال التعرض بقراءة تاريخية تحليلية إلى أسبابها التاريخية و السوسيوثقافية في الفترة الكولونيالية و امتدادها إلى فترة ما بعد الاستقلال، مع انقسام النخب الجزائرية حول مشروع المجتمع،و جملة الحوامل الإيديولوجية التي يجب أن تبنى عليها الدولة الوليدة،إضافة إلى محاولة ملامسة كيفيات توظيف مكونات الهوية الوطنية كاللغة و الدين في مجال الاحتراب السياسي و الحزبي و مآلات ذلك الصراع و نتائجه،لنصل أخيرا إلى اقتراح المواطنة كآلية حداثية في تفكيك ألغام الأزمة الهوياتية و تحييدها.

الكلمات المفتاحية: الأزمة الهوياتية،الهوية،الإيديولوجيا،الصراع السياسي،المواطنة

Résumé :

L objectif de Cet article est de comprendre la question de la crise identitaire en Algérie, à travers une analyse historique des causes historique et socioculturels dans la période coloniale et son extension jusque la période de l'indépendance et après aussi, avec la division des élites au sujet de projet de société, et aussi l'ensemble des supports idéologiques de l état naissant, en outre ce travail est une essaie pour comprendre les modalités d'investir les composants du l identité nationale, comme la langue, et la religion dans les conflits politiques, et les résultats de ces conflits, a fin de proposé la citoyenneté comme une mécanisme moderniste pour démanteler cette crise identitaire.

Mots clés : la crise identitaire, l'identité, l'idéologie, les conflits politiques, la citoyenneté

Abstract :

The objective of this article is to understand the question of identity crisis in Algeria, through a historical analysis of the historical and socio-cultural causes in the colonial period and its extension until the period of independence and also afterwards, with the division of the elites About the project of society project, and also all of the ideological supports of the nascent state, furthermore this work is an attempt to understand how to invest the components of national identity, such as language, and religion in this Political conflicts, and the results of these conflicts, for purpose to propose citizenship as a modernist mechanism to dismantle this identity crisis.

Key words : The identity crisis, identity, ideology, political conflicts, citizenship

مقدمة:

نحاول في هذه الورقة البحثية طرح فهم موضوعي لما يُعْتقد أنها أزمة هوياتية في المجتمع الجزائري، من خلال البحث بداية في العوامل المؤسسة لهوية الأمة الجزائرية بأبعادها اللغوية و الدينية،وكذا بتحديد البدايات الأولى لأشكال التنازع الهويّاتي،و ذلك عندما اختزلت الهوية في الأسْلمة والعَوْرَبة و ما نتج عن ذلك من انشقاقات و شروخ مجتمعية عاشها و يعيشها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال،فلا مِرَاءَ أن تكوّن هوية واضحة المعالم لهو من المطالب الحيوية في إلباس أي نظام اجتماعي أو سياسي لحاف الشرعية من جهة،إضافة إلى كونها اللّبنة الأساس في دعم السلم الاجتماعي من جهة ثانية.

هذه الهوية التي ترتبط بشكل أساس بالبُنَى الثقافية و أشكال مؤسسات التنشئة الإجتماعيية و ما تؤسس له من معايير اجتماعية و قيمية تجعل من الفرد يتماهى مع فضائه المجتمعي،كما يجب أن تكون جامعة لمختلف الفاعلين الاجتماعيين و موسومة بشكل نسبي من القبول المجتمعي وحاملة لذلك الوعي الجمعي نحو الذات و الكينونة،و بالتالي فإنها تساهم بشكل كبير في دعم كل أشكال الانسجام و السلم الاجتماعيين الذي ما فتئ يرتبط بتوافر الشرعية السياسية والشرعية الثقافية،بالإضافة إلى عوامل أخرى مادية مرتبطة بعوامل اقتصادية و اجتماعية و حضارية.

هذا الوضوح الذي نعتقد أنه كان غائبا في الحالة الجزائرية (أو مُغَيَبًا) من طرف جهات متعددة متصارعة إما إيديولوجيا أو سياسيا،حيث كان لعناصر الهوية دورا حاسما في كل أشكال التنازع و الانقسامية الذي عرفها المجتمع،إضافة إلى توظيف عناصر أخرى مرتبطة بشرعيات تاريخية أو ريعية أو أمنية،و عليه فإن هذه الورقة ستبحث في آليات توظيف عناصر الهوية الجزائرية في التنازع الإيديولوجي و كذا الصراع السياسي في مراحل متعاقبة من تاريخ الدولة الجزائرية الحديثة و مآلات هذا التعارك على ثوابت الهوية.

1. في فهم الهوية و الأزمة الهوياتية :لا مراء في أن مفهوم الهوية كان و لا يزال ذلك المفهوم الهُلامي كثير المعاني والتفسيرات و الشروح،على اعتبار كثرة التداول و عدم الوضوح، فهو مفهوم خاضت فيه عدة مجالات من التفكير الثقافي و أنساق معرفية مختلفة من العلوم الاجتماعية و الإنسانية،كما أنه -أي مفهوم الهوية- ارتبط بمفاهيم متشابكة كالذات واللغة والثقافة والحضارة والأصالة والعرف والخصوصية،إذا كانت الهوية ذات عدة أوجه في الاستعمال،فمن الناحية "اللغوية تعني ماهية الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره" [1]أي أن الهوية مشتقة لغويا من الضمير المنفصل هو الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص المستقلة عن ذوات الآخرين.

بينما تجد لفظ الهوية في اللغة الفرنسية يتوافق مع كلمة identité و المشتقة من الكلمة اللاتينية idem و التي تعني هي الأخرى التشابه أو التماثل مع احتفاظ هذه الأشياء المتشابهة بتميزها عن بعضها البعض"2.و يتخذ هابرماس رؤية جديدة مغايرة في فهم دلالة الهوية إذا ما تم اتخاذ المجتمع كإحداثية و مرجعية أين حاول هابرماس أن يرصد من خلاله مقاربته الفلسفية "**أين يرى خطاب الهوية تفاعلا ذاتيا يكشف في أرقى منازله الثراء الإنساني**"3.

كما يراها **أمين معلوف** على أنها من المفاهيم المُتَشكلة من "**جمهرة من العناصر التي لا تقتصر على ما هو مدّون في السجلات الرسمية فقط، بالنسبة للغالبية العظمى من الناس _ بل للانتماء إلى تقليد ديني أو مجموعة إثنية أو لغوية أو إلى مهنة أو مؤسسة ووسط اجتماعي ما، و كذلك إلى مقتضيات أخرى يفترض أنها غير محدودة**"[4]،و بالتالي فإن الهوية ترتبط بالوجود والذات والتراث الاجتماعي، والهوية الاجتماعية والثقافية، والهوية

---

[1] ابن المنظور،لسان العرب(المجلد 15بيروت،دار صادر1970) ص 376.

[2] .Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française ,paris,la rousse,1994.p30.

[3] الناصر عبد اللاّوي،**الهوية و التواصلية في تفكير هابرماس**،الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة،دار الفارابي،لبنان،2012،ص 53.

[4] أمين معلوف، **الهويات القاتلة**، ترجمة نبيل محسن،الطبعة الأولى،دار ورد للنشر و التوزيع،1999،دمشق،ص14.

الوطنية،و هي ترتبط بالأفراد كما هي ترتبط بالمجتمعات، كآلية للتأكيد على الذات و الكينونة، وإعادة ترتيب علاقاتها بمحيطها من اجل إثبات وتحقيق الاستقرار.

كما وقد ترتبط الهوية بالعامل الديني والطائفي، و الإثني والإيديولوجي، والسياسي، أما من الزاوية الأنثربولوجية فيرى **دونيس كوش Denis Couche " أن الهوية تعبر عن محصلة التفاعلات المتنوعة بين الفرد و محيطه الاجتماعي،قريبا كان أو بعيدا.إن هوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي:الانتماء إلى صنف جنسي و إلى صنف عُمْري و إلى طبقة اجتماعية و إلى أمة...، الهوية تمكن الفرد من أن يحدد لذاته موضعا ضمن النسق الاجتماعي و أن يُحَدِدَ الآخرون موضعه اجتماعيا"[1].**

2. المرحلة الكولونيالية و تولُدْ النزاع: أفرز الواقع الإحتلالي للجزائر مشكلة ثقافية ذات أهداف تَمزيقية من عديد النواحي،سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو فكرية،تفاعلت في مرحلة الاستعمار لتصير أكثر تعقيدا بعد الاستقلال،حيث أن الحالة الاستعمارية في المغرب العربي تميزت عن نظيراتها في المشرق العربي باستهدافها تحديدا لأشكال الهوية و مكوناتها من دين،ولغة،و منظومة قَيّمِية حكمت و تحكم الأنساق الاجتماعية،و ذلك أكثر من إهتماها بالتقسيمات الجغرافية كما حصل في الطرف الآخر من المشرق العربي،على هذا الأساس فإنه لا يمكن تجاوز ما جَهِدتْ فيه السلطة الاستعمارية من محاولات تمزيق النُسُج وتحييد جملة البُنَى التقليدية التي كانت تمثل شكلا مهما من أشكال "اللّحِام الاجتماعي" من تجمعات تقليدية ، و زوايا و تشكيلات قبلية وكل ما يمكن أن يمثل صورة من صور النفوذ الرمزي.

وهذا ما حصل بشكل جليّ في تونس مثلا بعد فرض الحماية سنة 1881 و المغرب لاحقا سنة 1912،أين شجعت على التجنيس باعتمادها آنذاك قانون التجنيس سنة 1923 في تونس مثلا،و استصدارها ما يعرف **"بالظهير البربري"** في المغرب سنة 1930[2] ، بغرض تمزيق الوحدة الوطنية لهذه الدول،وهنا ما يمكننا من تفسير تلك الحالة من الإحباط والانكفاء الذي عرفته تلك الدول بعد استقلالها ففي قراءة بسيطة لما كُتِبَ عنها نجد جملة من التوصيفات التي توحي بمدى الدمار و التفكك و الإنقسام الذي خلفه المستعمر.

إضافة إلى ذلك فقد عمدت السلطة الكولونيالية إلى استحداث جملة من الثنائيات الهادفة الى خلق حالة من الانقسامية و التشضّي في المجتمعات المغاربية،فنجد تلك الثنائية المَجَالية الجغرافية التي ترتبط بطبيعة التضاريس و الأرض و أشكال الساكنة بها،أين نجد سلطة استعمارية و إدارة كولونيالية تضم عسكريين و مدنيين سواءا فرنسيين أو غيرهم من "الأهالي" المنتفعين في سهول خصبة تتوفر على إمكانات ووسائل وتعليم و صحة[3] ... ،في مقابل بوادي وأرياف مهمشة،تفتقر لأبسط أدوات العيش و المنفية إلى مناطق هي جغرافيا صعبة ومعزولة عن المدن و الحواضر .وهذا ما جعل المجتمعات المغاربية بشكل عام و المجتمع الجزائري بشكل خاص تنقسم إلى قسمين،قسم "مهادن" للسلطة الكولونيالية_ و لو في إطار ضيق لكنه مؤثر _ منتفع إلى حد ما من ظروف الحياة في ظل هذه السلطة،و قسم رافض لطبيعة هذه السلطة معزول في مجالاته و حيّزه المكاني المقفر و المعزول.

هذه الحالة التي أفرزت إتقساما حادا كذلك فيما بعد على مستوى البنية الهوياتية للمجتمع؛خاصة ما تعلق بمكون اللّغة الذي كان له الدور الحاسم في إشعال فتيل الانشقاق و الانقسام بحكم دور اللغة في ولوج التعليم و العمل (على محدوديتهما)،وهذا وصولا إلى مرحلة تثبيت الظاهرة الفرنكوفونية في المجال المغاربي بشكل عام و الجزائري بشكل خاص،أين خلق واقع تنازعت فيه اللغة العربية و الأمازيغية كوعائين ثقافيين ممتدين في تاريخ الأرض و الأمة من

---

1 . دونيس كوش،**مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**،ترجمة منير السعيداني،(ط1،لبنان،مركز دراسات الوحدة العربية ،2007)،ص 147.

2 احمد مالكي،**الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة** ،(قطر، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات،2013)،ص13 .

3 مرجع سابق.

جهة،و بين الفرنسية كوافد مع المستعمر و مع ما تحمله هي كذلك من ثقافة،خالقة بذلك مجموعة متعاركة من الثنائيات منها ثنائية التعليم،وثنائية النخب،و ثنائية المرجعيات الثقافية.

3.الأزمة البربرية أو الرِّدة عن الذّات : إن التقديم السابق لم يكن اعتباطا،بقدر ما سيحيلنا لفهم العديد من نقاط الظل التي تعترضنا كلما حاولنا فهم أزمة الهوية في المجتمع الجزائري،و التي لا يمكن تقفيها دون التعريج على مسوغات الأزمة البربرية سنة 1949و التي طرحت في صفوف حزب الشعب الجزائري PPA،الذي تخلله شكل من أشكال "**اليعقوبية العروبية** " الغير مُتَسماحة مع شكل التعدد الثقافي و اللغوي في إطار هياكل الحزب،هذا التوجه الذي تولّد كحاجة للتأكيد على شكل" الأنا الجمعي" كتوجه معارض للمستعمر،خاصة مع بروز مقولات الجزائر الفرنسية أين قابلها شعار الجزائر العربية.

غير أن هذا التوجه خلق في المقابل نزعة حملت شعار "الجزائر الجزائرية " نادى به دعاة البربرية،أين نُظر إليها من طرف العُروبيين أنها أطروحة هلامية لا معنى لها،وأنها يمكن أن تمثل حالة من الاختراق لتمرير مقولة الجزائر الفرنسية،و هذا على سبيل التخوين و التفسيق.و بغض النظر عن مآلات الصراع فإن هذا التنازع دلّ بشكل واضح على بروز انشقاق على مستوى المشروع الاستقلالي و على مستوى الرؤية المستقبلية لشكل الدولة و المجتمع ما بعد الاستقلال.

لا يمكن أن نتجاوز في هذا السياق تلك الظروف التي حاطت تشكل الحركة الوطنية أيضا و ارتباطاتها بخط النضال العربي للتحرر من الانتدابات و الإحتلالات ،و لا أكثر مثال على ذلك علاقة الحركة الوطنية بشخص من قَبِيل **الأمير شكيب أرسلان**(*)[1] الذي كانت له روابط مع عديد مكونات الحركة الوطنية و تحديدا مصالي الحاج و الذي كانت بينه و بين أرسلان العديد من المراسلات،إضافة إلى علاقته بالعديد من أعضاء جمعية العلماء المسلمين كالشيخ الطيب العُقبي،و أحمد توفيق المدني،هذه الروابط و العلاقات التي لطالما "استغلها الأمير بغرض التقريب بين قيادات جمعية العلماء المسلمين و قيادات حزب الشعب الجزائري"[2]،و تجدر الإشارة هنا أن جمعية العلماء لم تكن بصدد طرح مطالب استقلالية بقدر ما كانت تطرح مطالب "هوياتية" فهي "في واقع الأمر، لم يسجل للعلماء المطالبة باستقلال الجزائر في صلب برنامجهم طيلة مدة طويلة، إذ كانوا يفضلون التركيز على النضال الثقافوي بالدفاع على ما كان يبدو في نظرهم يمثل أسس الهوية الجزائرية، أي التمايزات اللغوية (العربية) و الدينية (الإسلام) بطبيعة الحال. و قد طالبوا باستمرار، فيما يتعلق بالإسلام، بتطبيق القوانين الفرنسية التي تنص على الفصل بين الدين و الدولة"[3]

فالمثال السابق يمكن الاستدلال به لِتَلمُس ذلك الأثر الكبير في انسحاب المد العروبي على المشهد النضالي وبروز تلك النزعة العروبية في مقابل نزعة بربرية، تفجّر الصراع بينهما بعد ما أقدم عليه مصالي الحاج،بإرساله مذكرة للأمم المتحدة يحدد فيها معالم الهوية الجزائرية سنة 1948 أين حددها في العروبة و الإسلام بشكل حصري مما وجد فيه أنصار البربرية أنه ردة عن الذات و إسقاط لأهم مكون من مكونات الشخصية الجزائرية و هو امتدادها الأمازيغي.لقد مثلت هذه الأزمة فاتحة ومقدمة للعديد من الإنزلاقات التي شهدها المشروع التحرري و الاستقلالي فيما بعد،أين عرفت ساحات النضال الوطني قبل وأثناء الثورة التحريرية حالة من الإقصاء و التحييد بدعوى الحفاظ على الوحدة الوطنية،حتى وصل الأمر إلى التصفيات الجسدية.

(*) .الأمير شكيب أرسلان(1869/1946) هو أديب و سياسي وواحد من أعلام النضال نحو الوحدة العربية، أين كان له جهد كبير في سبيل التوحد و النهضة،و من أوائل الدعاة إلى إنشاء الجامعة العربية ،له عديد الأعمال و الإنتاجات الأدبية و الفكرية من بينها "لماذا تأخر المسلمون و تقدم غيرهم؟"،"تاريخ الترك"،"ديوان الأمير شكيب أرسلان".

[2] أحمد صاري،"شكيب أرسلان و الحركة الوطنية"،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر،عدد13(2000)،ص136.

[3] رمعون حسن، ترجمة محمد داوود،الإستعمار، الحركة الوطنية و الاستقلال بالجزائر : العلاقة بين الديني و السياسي،مجلة إنسانيات، العدد 31 ، 2006، ص

4. صراع لغوي أم نخبوي،أم صراع للتموقع ؟ لقد اتسم الوضع السوسيولغوي في الجزائر بعد الاستقلال،بالتعقيد على "اعتبار وجود "أربع لغات " مستخدمة بتفاوت حسب السياق أو المجال،و هي العربية الرسمية أو الفصحى و الفرنسية و اللتان تستخدمان تحديدا في المجالات المعرفية و النواحي الرسمية"[1]،و ما يطلق عليها باللغة الجزائرية و التي نقصد بها العامية و اللغة الأمازيغية في بعض المناطق و التي يمكن ان نطلق عليها مصطلح لغة الحياة اليومية.إنه ذلك الوضع الذي ورثته الدولة الوليدة بعد ذلك الانتصار العسكري،و المُبَطَنُ بتلك الخيّبات السياسية و الاقتصادية،و الأهم الخيبات الثقافية و التي تجسدت تحديدا في صورة ذلك التنازع بين الفرنكوفونية و العربية و كذا الأمازيغية.

إن الصراع اللغوي محلّ الحديث،ظهر اجتماعيا في شكل ذلك التعارك الصامت أحيانا و بكثير من الضجيج أحيانا أخرى،بين المُفَرنَسِين الذين يرون في الفرنسية أو - يسوقون لذلك- لغة العلم و التكنولوجيا و العالمية و بين العروبيين الذين يرون فيها – أو يسوقون لذلك أيضا- على أنها رسالة و انتماءا أكثر منها مجرد لغة، بحكم علاقتها بالشأن الديني الذي هو الرافد الثقافي الأول للهوية الجزائرية،و تحت غطاء هذا التصارع ظهر تنازع جليّ،على مستوى النخب لعدة أسباب لعل من أهمها الحفاظ على التموقع في محيط السلطة السياسية،و على هذا الأساس انقسم المشهد كما يقول **هواري عدّي**[2] إلى:

أ. **نخب عروبية ذات توجه محافظ**،تتخذ من اللغة العربية و كذا الإسلام متراسا دفاعيا،ترى في نفسها أن لها قبولا من لدى المجتمع و أن لها امتدادا حضاريا لذلك الكيان الثقافي المشرقي،بكل تراثه و تاريخه و شخوصه،و لا تعترف بخصوصية ثقافية و حضارية للمجتمع الجزائري بشكل خاص و المنطقة المغاربية بشكل عام.

ب. **نخب فرنكوفونية** ناقدة لشكل المجتمع و مضامينه و بنياته الثقافية، بحكم أنه مجتمع تقليدي مصارع للحداثة في تصورهم،و يحاولون من خلال أجهزة السلطة التحول به من صورته التقليدية إلى صورة أو نسخة حداثية،و هو التيار الذي استطاع إلى حد كبير استمالة أصحاب المطالب الثقافية البربرية.

لقد لعب هذا الانقسام في الرؤية و مشروع المجتمع دورا حاسما في إضعاف دور النخب الثقافية،و الأهم المشاركة في تأطير عديد المحطات التاريخية الحاسمة التي عرفها المجتمع الجزائري؛هذه الانقسامية التي لم تستفد منها سوى منظومة الحكم المُتَسيّدة لكل هذا المشهد سياسة و ثقافة و مجتمعا،و التي عمدت في خضم تسويقها لخطاب استرجاع الهوية،و كذا البحث عن شكل من أشكال الشرعية المنقوصة،" إلى تقسيم الوظائف اللغوية بين العربية الفصحى و الفرنسية،فخُصت الأولى بالهوية و الشخصية الوطنية،بينما خصت الثانية إلى زمن قريب بالمجالات المعرفية و التواصل العلمي و التقني و كذا الإدارة و التسيير"[3].

هذا مع تحييد كامل للمسألة الأمازيغية التي كانت تتخذ صورة المطلب الثقافي في البداية و الذي كان أول صدام له مع السلطة السياسية في أفريل 1980 بجامعة تيزي وزو،و الذي أسس لظهور الحركة الثقافة البربرية التي حاولت مصادرة القضية من حزب جبهة القوى الاشتراكية الذي كان بعيدا هيكليا و تنظيميا و جغرافيا عن توجيه هذا الشكل من الحراك،و بالتالي فإن هذه الحركة الثقافية استطاعت أن تفتك وجودها مباشرة مع بعد فتح الفضاء السياسي بعد دستور 1989،و الذي أعطى لها شرعية الممارسة السياسية مما أدخلها في صراع صامت بينها و بين حزب القوى الاشتراكية و اللذان خسرا[4] كلاهما رهان القضية بعد أحداث 2001،أين دخلت التنظيمات التقليدية بثقلها التعبوي ورصيدها الشعبي على ساحة الأحداث و صولا إلى الاعتراف بها كلغة وطنية، و الذي كان بمثابة سحب للبساط من طرف السلطة لكل تمثيل سياسي "شرعي"للمنادين بهذه المطالب.

---

[1] Addrezak dourari,les malaises de la société algérienne ,Casbah éditions ,2003 ;p16

[2] Ibid ,p 86.

[3] أحمد نائف،**تعريب التعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي و الطرح الإيديولوجي**(الجزائر،كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ،2011)،ص103.

[4] Addrezak dourari ,Opcit,p 49.

5.الإسلام ، فخ التسّييس و مآزق التحول الديمقراطي: تعتبر العلاقة بين ثنائية السياسة و الدين " الإسلام " واحدة من أبرز المعضلات في الجزائر،و هي معضلة متعددة الأبعاد، فمنذ مقاومة الاحتلال الفرنسي تم توظيف الإسلام كمصدر للشرعية من جهة و"الجهاد" من جهة أخرى،كما وظف حتى في الصراع السياسي و الإيديولوجي بين تيارات الحركة الوطنية و هذا ما بدا جليا مثلا في رفض حزب الشعب فكرة الإدماج التي نادى بها الإدماجيون و اعتبارها ردة و "كفرا"1و ذلك في رده على الحزب الشيوعي،و هذا كان شأنه كذلك أثناء حرب التحرير باعتماده من أهم أساليب التَجْييش و الحشد ضد المستعمر.

ولثقله في رسم الشخصية الوطنية فقد جاء الميثاق الوطني سنة 1976 ناصّا على أن "**الشعب الجزائري مسلم،و الإسلام هو دين الدولة**[2]، و هو أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا التاريخية"،و هو كذلك بحكم السياق التاريخي للمجتمع الجزائري جاعلا منه وسيلة لتوحيد طوائفه و تشكيلاته المختلفة،غير أن هذا ليس الدور الوحيد الذي لعبه الدين في نظر النخبة الحاكمة فهو كذلك عامل مهم من عوامل تحقيق الاستقرار و السلم الاجتماعي بحكم تشديده على فكرة **وحدة جماعة المسلمين**، و التي كانت تمثل غاية في منتهى الأهمية بالنسبة للنظام السياسي الذي كان دائما في حالة من الخصومة مع معارضيه منذ أزمة صائفة 1962،هذه الخصومة التي كانت تشتد و تلين حسب الأوضاع الداخلية و حسب تبدل ميزان القوى في منظومة الحكم،فنجد مثلا على سبيل الشعبوّية اشتراكية بومدين الإسلامية أو ليبرالية الشاذلي الإسلامية على سبيل تغليف الخيارات الاقتصادية و السياسية بلحاف الدين بغرض تسويقه مجتمعيا.

بعد الثورة الإسلامية في إيران سنة1979 استقطب التوظيف السياسي الإسلام عديد الحركات الإسلامية بعد أن أثّر عليها نجاح الثورة الإسّلامية سيكولوجيا و معنويا و سياسيا ودفعها للعمل حثيثا بغرض الوصول للحكم،في وقت باتت الأنظمة "العلمانية" في الدولة القطرية العربية تخشى التيارات الإسّلامية بسبب تراجع شعبيتها جراء فشلها الاقتصادي و الاجتماعي أين ظلت القاعدة الاجتماعية لحركات الإسلام السياسي تتسع خاصة مع اهتزاز شرعية النظم السياسية العربية جراء تراجع دور الدولة الريعية بسبب انخفاض أسعار المحروقات و تفاقم المشاكل الاجتماعية أين برزت الحركة الإسّلامية كقوة اجتماعية و كيان ثقافي و سياسي، ذات تأثير عميق في المجتمعات العربية و الجزائر تحديدا،هذه الحركات التي كانت لها الفرصة بعد أحداث أكتوبر 1988 و انفتاح النظام السياسي على التعددية الحزّبية.

غير أن هذه الحركات الإسّلامية لم تتفق هي ذاتها على مشروع موحد يضمها،بحكم المرجعية الموحدة التي يتفقون عليها – المرجعية الإسلامية- وهذا اتضح بعد إعلان بعض حركات الإسلام السياسي عداء ها للديمقراطية صراحة وهو ما كان نتيجة طبيعية لتحول ديمقراطي صوري لم يسبقه تغيير عميق في الُبنى و التصورات الفكرية لهذه الحركات،لذا أسقطت الدولة و المجتمع في إشكالية تغيير نظام غير ديمقراطي بحركات هي غير ديمقراطية3 .

6.مجتمع المواطنة و تحييد الأزمة: لعل من بين أهم المفاهيم التي أفاضت علينا بها الحداثة،إضافة إلى العلمانية و الدولة القطرية و القانون و حقوق الإنسان و المجتمع المدني و المدنية مقابل الدينية، أقول من بين أهم هذه المفاهيم هو مفهوم المواطنة الذي نقل الفرد المأزوم ثقافيا و هوّياتيا و المحكوم بتلك الانتماءات المحلية الفئوية أو المناطقية أو الإثنية الضيقة إلى فضاءات أرحب ساء على مستوى الوعي أو على مستوى الممارسة،حيث يذهب عبد الكريم غلاب إلى أن "**المواطن هو تلك المرحلة التي تصبح فيها المواطنة –إنسانية – أين تتحول إلى تلك العلاقة الاجتماعية بين فردين مواطنين –أو أكثر- يتفاعلون حول الوطن و يقتسمون جملة الانتماءات و الحقوق و الواجبات،و حيث لفظ**

---

[1] رابح كمال لعروسي،**المشاركة السياسية و التعددية الحزبية في الجزائر**،(الجزائر،دار قرطبة للنشر و التوزيع،2007)،ص 15.

[2] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،دستور 1976،الباب الأول:المبادئ الأساسية لتنظيم المجتمع الجزائري،الفصل الأول: الجمهورية.

[3] أحمد يوسف أحمد،"**تحليل الواقع العربي**"،المستقبل العربي،العدد 269،جويلية2001،ص 92.

المواطن يحمل دلالة أقوى من لفظ الشعب أو الأمة،باعتباره صانع القانون و الطرف المطالب باختيار نظام الحكم، و التي تمثل أول مظاهر المواطنة" [1].

إن المواطنة هي داعمة للهوية من حيث أنها تدعم ذلك الكيان الثقافي و تربطه بحيز الوطن الجغرافي،فلا يمكن أن ينبني أي شكل من أشكال العلاقات الاقتصادية أو السياسية إلا في ظل بنية تحتية قيمية و سيوسيوثقافية تكون الحامل الثقافي لها،و الهوية في أحد أشكالها هي حامل للمواطنة و تجلّياتها إضافة الى عديد الحوامل الأخرى الاقتصادية و السياسية، إن المواطنة تمثل هوية جامعة تذيب في سياقاتها كل الهويات الفرعية الأخرى دون تهميشها أو التضييق عليها،كما لا تَعْتَدُ بأي من النوازع سواء لغوية أو دينية أو مذهبية أمام مقتضيات الدولة القومية،فتوليفة التمازج بين مقتضيات المواطنة الجامعة في مجتمع المواطنة و بين الحفاظ على كل أشكال التنوع و الثقافي و اللغويّ هي ما يمكن أن يحافظ على كيان المجتمع و الدولة من التمزق و التشضيّ.

إن تحييد الأزمة الهوياتية في الجزائر التي تستتر و تتراجع تحت وطأة سطوة الدولة و تراجع أسباب ما يغذيها،خاصة ما تعلق بالوضع الاقتصادي،لا يتأتي بشكل كامل إلا من خلال مواطنة كاملة لا منقوصة أو شكلية، تكون فيه الديمقراطية و مؤسسات المجتمع المدني و الجمعيات الأهلية هي الفضاء الذي يتحرك في فضائه الفرد بحيث لا ينكفئ الى تلك المؤسسات الاجتماعية التقليدية(المجتمعة على عوامل اثنومركزية) في كل ضَائِقَة تُلِمُ به طلبا لتحقيق الذات أو الضغط على مؤسسات الدولة و جعل هذه المؤسسات التقليدية في مواجهة الدولة. إن فشل بناء مجتمع المواطنة أو على الأقل تأخره و التعثر في التأسيس له كان من بين أهم أسبابه اكتساح الدولة كل مجالات الحياة المجتمعية في إطار مشروع دولّنة المجتمع ، أين شكل انتشار سلطتها في كل المجالات، وممارسة أجهزتها الرقابية والقانونية حاجزا أمام إمكانية استقلال المؤسسات الاجتماعية،و نفور المشاركة الطوعية و الاستقالة الجماعية لكل الفاعلين الاجتماعيين من كل أشكال العمل الأهلي و السياسي.

خاتمة و استخلاص:

لقد ارتبطت هوية المجتمع الجزائري ارتباطا وثيقا بالأحداث التاريخية التي مرّ بها قديما و حديثا،و في مقدمة هذه الأحداث طبعا شكل الإحتلالات التي عرفتها الجزائر منذ قرون،و التي كان لها بالغ الأثر في نسج خيوط هوية مركبة من أمازيغية و إسلام و عروبة – على الأقل في شكلها اللغوي- هذه الهوية التي حاول أكثر الإحتلالات قساوة و همجية تفكيكها و مسخها و هو ما نقصد به هنا الاحتلال الفرنسي تحديدا في إطار محاولاته الحثيثة لإلحاق حضاري قصري لهذه الأرض و شعوبها بثقافة و كينونة المستعمر.

لقد كان لهذا الاستلاب الحضاري أثره البالغ في طمس كل معالم هوية الأرض و الإنسان أين حرم هذا الأخير من عقيدته و تعلم لغته مقابل تعويم مقصود لتعلم اللغة الفرنسية،وضعُ أفرز تناقضات خطيرة كذلك في مسار الحركة الوطنية فأصبح هنالك من يرى في العروبة و الإسلام وحدهما من يمثل كيانه و هويته الثقافية في مقابل من يرى في نفسه بربريا لا تمثل له العروبة سوى عارض تاريخي،و بين هذا و ذاك من وجد نفسه في الفرنكوفونية لغة وثقافة،ينادي بها و يجَهَدُ في سبيلها و بين هذا و ذاك ضاع المشروع الوطني التحرري، إلى أن تحول النضال من شكله الحزبي السلمي المُفكَكْ إلى شكله العسكري الموحد و الذي تجاوز كل هذه السِجَالات ليستهدف تحقيق الاستقلال الوطني و الذي وصل إليه و لكن أُلْحقت به و جُرت مع هذا الانتصار ألغام الماضي و مأزق الاستعمار التي تركها للدولة الوليدة.

[1] علي خليفة الكواري ، **المواطنة و الديمقراطية في البلدان العربية** ،(لبنان،مركز دراسات الوحدة العربية،2001)،ص 30

فهذا الاستقلال و إضافة إلى أشكال التنازع المتولد من الرؤى المختلفة لشكل الدولة و مشروع المجتمع،ميّزه كذلك تنازع هوياتي بين التيار العروبي الإسلامي و تيار فرنكونفوني جاراً معه كذلك المطالب اللغوية الأمازيغية،مشروعان كان محل تجاذب بين النظام السياسي الحاكم و التيارات الإيديولوجية أين كان الكل يسوق لمشروعه مبطلا مشروع الأخر، مستخدما وسائل مشروعة أحيانا وغير ذلك في أحايين كثيرة، هي إذا صورة لصراع الهوية في الجزائر من خلال صراع مشروعي مجتمع يقفان على طرفي نقيض،ذا الصراع الذي طبع المجتمع الجزائري في شكل عنف سياسي و اجتماعي منذ الاستقلال، بدأ بأزمة صائفة 1962 و الصراع على السلطة، واستمرت مع أحداث أكتوبر 1988، ثم تجدد سنة 1991 بعد إلغاء المسار الانتخابي، عنفُ ما زال يجدد نفسه في مرة بسبب التوجه مباشرة نحوا لأسباب الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية.

قائمة المراجع:

1. الناصر عبد اللاّوي،**الهوية و التواصلية في تفكير هابرماس**،الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة،دار الفارابي،لبنان،2012.
2.أمين معلوف، **الهويات القاتلة**، ترجمة نبيل محسن،الطبعة الأولى،دار ورد للنشر و التوزيع، دمشق، 1999.
3احمد مالكي،**الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة** ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات،قطر 2013.
4أحمد نائف،**تعريب التعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي و الطرح الإيديولوجي**،كنوز الحكمة،الجزائر،2011.
5. دنيس كوش،**مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية**،ترجمة منير السعيداني،مركز دراسات الوحدة العربية،ط2007،1.
6.أحمد يوسف أحمد،"تحليل الواقع العربي"،المستقبل العربي،العدد 269،جويلية2001.
7.أحمد صاري،"شكيب أرسلان و الحركة الوطنية"،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر،عدد13(2000).
8.رابح كمال لعروسي،**المشاركة السياسية و التعددية الحزبية في الجزائر**،دار قرطبة للنشر و التوزيع،الجزائر،2007.
9.محمد الكوخي،**سؤال الهوية في شمال إفريقيا**،افريقيا الشرق ،الدارالبيضاء ،2014.
10.أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري: دراسة علمية في الأنثروبولوجيا النفسية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 1994.
11.علي خليفة الكواري ، **المواطنة و الديمقراطية في البلدان العربية** ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2001
12.رمعون حسن، ترجمة محمد داوود،الإستعمار، الحركة الوطنية و الاستقلال بالجزائر : العلاقة بين الديني و السياسي،مجلة إنسانيات، العدد 31 ، 2006.
13. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دستور 1976،الباب الأول:المبادئ الأساسية لتنظيم المجتمع الجزائري،الفصل الأول: الجمهورية.
14.ابن المنظور،لسان العرب(المجلد 15بيروت،دار صادر1970)

15.Addrezak dourari,les malaises de la société algérienne ,Casbah éditions ,2003.
16. Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française ,paris,la rousse,1994.
17. Addi Lahouari. Algerie et la democratie : pouvoir et crise du
politique dans lAlgerie contemporaine. Paris : la decouverte . 1994.